****

**عنوان الماستر: العقيدة الإسلامية**

السداسي: الثالث

اسم المادة: تصنيف العلوم عند المسلمين

Classification des sciences pour les musulmans

**أهداف المقياس**:

1/ التّعريف بـباب: 'تصنيف العلوم'.

2/ تصوّر المراحل التّاريخيّة التي مرّ بها.

3/ التّعرّف على الغاية من 'تصنيف العلوم'.

4/ التعرّف على فائدته في **التصنيف المكتبي، وإنشاء التّخصّصات في الأقسام والكلّيّات والجامعات**.

**المعارف المسبقة المطلوبة:**

يُستعان في تعليم المقياس باستثارة المعارف المسبقة للطّالب، خاصّة ما كان منها متعلّقا بـ:

**علم المنطق، والفكر الإسلاميّ، وفكرة ولو بسيطة عن علم المكتبات، والتّحكّم في التّعامل مع بعض كتب الفهارس والتّعريفات وترتيب العلوم.**

**المطلب الأوّل:** التّعريف بعلم تصنيف العلوم**.**

**تعريفات ومفاهيم أوّليّة**:

أ/ التّصنيف: **لغةً** من: صَنَّفَ الأشياءَ: رتّبها وميّز بينها، والصّنفُ (بكسر الصّاد وفتحِها): النّوعُ.

والتّصنيفُ: تمييزُ الأشياءِ بعضها من بعضٍ[[1]](#footnote-2).

ومن معانيه اللّغوية : التّأليف، قال ابن العسكريّ: "والتّصنيفُ ضربٌ من التّأليف"[[2]](#footnote-3).

ويُطلق في **الاصطلاح** على: كلّ ترتيبٍ منهجيّ خاضعٍ لمعاييرَ واضحةٍ ومحدّدةٍ.

ب/ العلم: هو إدراك الشّيء على حقيقته.

ج/ تصنيف العلوم (ويسمى أيضا 'منطق العلوم' و'ترتيب العلوم' يندرج ضمن العلوم المنهجيّة): هو علمٌ وصفيٌّ في حقيقته يركّز على: التّمييز بين العلوم المختلفة[[3]](#footnote-4)، ثمّ إحصائها، ثمّ ترتيبها حسب وسائلها أو غاياتها أو مصادرها..

أو هو: علم يبحث تصنيف العلوم من خلال إيجاد **قواسم مشتركة بين أجناسها** من أجل التّمييز بينها في مجموعات محدّدة، وذلك بجعل معايير محدّدة كآليّة للتّمييز.

**أهمّيّته**:

1/ هو أداةٌ تنّظم المعرفة وتوجّهها.

2/ يحدّد الوسيلة المستعملة في العلم ثمّ يحفّزها.

3/ يحدّد المصادر لمراجعتها وإتقان طرق الوصول إليها والاستفادة منها.

4/ معرفة الغايات والنّهايات لكلّ علم، ومن ثمّ السّعي إليها.

**المطلب الثّاني:** تاريخ هذا العلم: النشأة والتّطور والمآل.

**المرحلة الأولى**: بدأ عند فلاسفة اليونان، وخضع **لتغليب التخصّصات التي يحسنها المصنّف**، أو لما يطلبه من ورائها، فمثلا: قدّم فلاسفة اليونان العلوم النّظريّة على العلوم العمليّة باعتبار أنّها تخصّصهم، ولأنّ ذلك يحقّق لهم المشاركة في الحكم كأداة فاعلة ومؤثّرة.

**تقسيم أرسطو**: يعتبر تقسيم أرسطو للعلوم أنضج محاولة قديمة لتصنيف العلوم والتّمييز بينها، ولقد ظل تصنيفه موجِّها لكلّ تصنيف بعده قرونا طويلة ‌من الزّمن، وذلك لما كان لمنطق وفكر أرسطو من تأثير على العلم والفلسفة على وجه العموم.

جاء في كتابه 'الميتافيزيقيا' عبارته الشّهيرة: "كلّ فكرٍ إمّا عَمَلِيٌّ أَوْ شِعْرِيٌّ أو نَظَرِيٌّ".

إذن قسّم أرسطو العلوم إلى ثلاثة أصناف، يندرج تحت كلّ منهما جملة من العلوم:

|  |
| --- |
| تقسيم أرسطو للعلوم |
| **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على ثلاثة أصناف:** **الصّنف الأوّل: علم نظري**: غايته المعرفة المجرّدة، وأقسامه ثلاثة:أ/ علم ما بعد الطّبيعة أو الفلسفة الأولى، أو العلم الإلهي: وهو بحث في الوجود المطلق.ب/ العلم الرّياضيّ: وهو البحث في الوجود من حيث هو مقدار وعدد .ج/ العلم الطّبيعيّ: وهو البحث في الوجود من حيث هو محسوس متحرّك .**الصّنف الثّاني: علم عمليّ**: وغايته المعرفة المهذّبة لأفعال البشر، وأقسامه:أ‌/ علم الأخلاق. ب/ علم التّدبير [ترتيب الأفعال نحو غاية مقصودة]. ج/ علم السّياسية.**الصّنف الثّالث: علم شعريّ**: وغايته الإنتاج الأدبيّ والتّفوق في الخطابة والجدل، وأقسامه: الفنّ والشّعر/والخطابة/والبلاغة/والجدل.ملاحظة: ولم يدخل المنطق في تقسيمه لأنّه يعتبره آلة ذهنيّة تخدم العلوم كلّها. |

**المرحلة الثّانية**: ثمّ أخذ عنهم المسلمون هذا العلم ضمن ما أخذوا، وغلّبوا العلوم النّقليّة على العقليّة لسببين: الأوّل: لأنّها كانت أكثر انتشارا وتأثيرا، والثّاني: لما للدّين من سلطان على النّفوس.

وما كان من العلوم العقليّة عند المسلمين كان بتوجيه وحاجة دينيّة، فالطّب كان حفاظا على النّفس، والرّياضيات لحساب الفرائض، والفلك لتحديد مواقيت الصّلاة..

مع ضرورة التّنبّه إلى أنّ رؤية المسلمين لهذا العلم ليست متساوية، فمنهم من اكتفى بالتّرجمة وكانت زيادتُه بسيطة لا تأثير لها، وطريقة هذه الفئة من العلماء اصطُلح على تسميتها بـ: 'الاتجاه التّقليدي'، ومنهم من أعطى تقسيما جديدا مستندا إلى رؤية جديدة ذات خصوصيّة إسلاميّة، وطريقة هذه الفئة من العلماء اصطُلح على تسميتها بـ: 'الاتّجاه الأصيل'.

وهذا سردٌ لأهمّ المصادر الإسلاميّة المتخصّصة في تصنيف العلوم:

1/ 'رسالة الحدود' لجابر بن حيان (منتصف القرن الثّاني للهجرة).

2/ رسائل الكندي (ت:260هـ).

3/ 'إحصاء العلوم' للفارابي (ت:339هـ)، و"التنبيه على سبيل السعادة" له أيضا.

4/ 'رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا' (منتصف القرن 4هـ).

5/ 'الفهرست' لابن النديم، ألف سنة 377هـ.

6/ 'مفاتيح العلوم' للخوارزمي (ت:387هـ).

7/ رسالة في أقسام العلوم العقليّة، لابن سينا (ت:428هـ).

8/ 'رسالة مراتب العلوم' لابن حزم (ت:456هـ).

9/ 'مقدمة ابن خلدون' (ت808هـ).

10/ 'مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم' لطاش كبرى زادة (ت:968هـ).

11/ 'كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون' لحاجي خليفة (ت:1068هـ).

12/ 'كشاف اصطلاحات الفنون' للتّهانوي الفاروقي (ت:1158هـ).

13/ 'أبجد العلوم' لصدّيق بن حسن خان (ت:1307هـ).

**المرحلة الثّالثة**: ثمّ جاء عصر النّهضة الأوربّيّة الحديثة، ومن أهمّ ميزاتها أنّها أخذت من كلّ الحضارات الإنسانيّة وبالخصوص من الحضارة الإسلاميّة، بحيث يمكن تحديد استفادتها من الإنتاج الفكري الإسلاميّ من جهتين:

الأولى: الاستفادة بواسطة: إذ كانت الحضارة الإسلاميّة واسطة بين الحضارة الأوربيّة والفكر الرّومانيّ والإغريقيّ [لأنّ كثيرا من كتبهم مفقودة، وما وجدت إلاّ عند المسلمين، وعن لغتهم العربيّة تُرجمت إلى باقي اللّغات].

الثّانيّة: الاستفادة المباشرة: وذلك من خلال ترجمة الفكر الإسلاميّ الأصيل.

ومن أهمّ روّادها: فرانسيس بيكون وأوجست كونت.

**المطلب الثّالث:** اتجاهات تصنيف العلوم عند المسلمين.

**بعض العلماء المسلمين قد تأثّروا ببمنهج التّجريد الذي تبنّاه أرسطو، إلاّ أنّ معظم العلماء كانوا أكثر أصالة عندما سعوا إلى أن يكون التّصنيف من المنظور الإسلاميّ انعكاسا للرؤية الإسلاميّة ومتطلّباتها، فمثلا انطلقت تصنيفات: الفرابيّ، وطاش كبرى زادة، وابن حزم، وابن خلدون، من النّظر الواقعيّ إلى العلوم نشأت في البيئة الإسلاميّة، وتنظيمها في هيكل تصنيفيّ يخدم الأغراض التّربويّة التّعليميّة.**

**ومع تعدّد العلوم وتنوّعها؛ فإنّ الجهود الإسلاميّة في تصنيفها ركّزت على الخصائص المميّزة للرّؤية الإسلاميّة، ومنها: المنطقيّة في التّرتيب، والاتّساق الدّاخليّ، والتّتابع في الأهمّيّة، والتّواصل في المحتوى، والتّكامل من حيث حاجة بعضها إلى الآخر، ووحدة توجّهها في خدمة الحقيقة الدّينيّة الإسلاميّة**[[4]](#footnote-5).

الفرع الأوّل: الاتجاه التّقليدي**:**

**أوّلا:** أعلامه**: تبنّى هذا المنهج جملة من العلماء والفلاسفة المسلمين متأثّرين في الغالب بالمنهج الأرسطي، من أهمّهم:**

1/ الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد (ت:339هـ): '**إحصاء العلوم**'.

2/مؤلّف مجهول (يحتمل أنّهم: مجموعة من الفلاسفة الشّيعة) منتصف القرن 4 هـ: '**رسائلُ إخوان الصّفا وخلاّن الوفا**'.

3/ ا بن سينا: الحسن بن عبد الله (ت:428هـ) '**أقسام العلوم العقلية**'.

تقسيم العلوم عند الفرابي(ت:339هـ) [[5]](#footnote-6)**:**

|  |
| --- |
| تقسيم الفرابي للعلوم |
| التقسيم الأوّل | **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على صنفين:** **الصّنف الأوّل:** العلوم النّظريّة**: تدرس الأمور التي لا يتعلّق وجودها بأفعال الإنسان، وهي: العلوم الرّياضيّة بأنواعها، والعلم الطّبيعيّ، والعلم الإلهيّ.****الصّنف الثّاني:** العلوم العمليّة**: تدرس الأمور المتعلّقة بأفعال الإنسان، وهي: الأخلاق والسّياسة ثمّ علم الفقه والكلام.** |
| التقسيم الثّاني | **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم ثمانية أصناف أساسيّة:****1/ علم اللّسان. 2/ علم المنطق. 3/ علم التّعاليم. 4/ العلم الطّبيعي. 5/ العلم الإلهيّ. 6/ العلم المدنيّ. 7/ علم الفقه. 8/ علم الكلام.** |

**قال الفرابيّ في وصف خطّة وفصول الكتاب: "قصدنا أن نحصي العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جُمَلَ ما يشتمل عليه كلّ واحدٍ منها، وأجزاءَ كلّ ما له منها أجزاء، وجُمَلَ ما في كلّ واحد من أجزائه، ونُجمله خمسةَ فصول:**

**الأوّل: في علم اللّسان وأجزائه.**

**الثّاني: في علم المنطق وأجزائه.**

**الثّالث: في علوم التّعاليم: وهي العدد، والهندسة، وعلم المناظر، وعلم النّجوم التّعليميّ، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال، وعلم وعلوم الحيل.**

**الرّابع: في العلم الطّبيعيّ وأجزائه، وفي العلم الإلهيّ وأجزائه.**

**الخامس: في العلم المدنيّ وأجزائه، وفي علم الفقه، وعلم الكلام"**[[6]](#footnote-7)**.**

**قال الفرابيّ في بيان** فوائد **هذا العلم: "ويَنتفعُ بما في هذا الكتاب الإنسانُ إذا أراد أن يتعلّم علما من هذه العلوم ويَنظر فيه؛ عَلِمَ على ماذا يُقدمُ، وفي ماذا ينظر، وأيّ شيءٍ سيُفيد نظره، وما غناءُ ذلك، وأيّ فضيلة تُنالُ به.**

**ليكون إقدامه على ما يُقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة، لا على عَمًى وغَرَرٍ.**

**وبهذا الكتابِ [العلمِ] يقدرُ الإنسانُ أن يَقيسَ بين العلوم، فيعل أيّها أفضل، وأيّها أنفع، وأيّها أتقنُ وأوثقُ وأقوى، وأيّها أوهن وأوهى وأضعف.."** [[7]](#footnote-8).

تقسيم العلوم عند إخوان الصّفا[[8]](#footnote-9)**:**

**موسوعة معرفيّة فلسفيّة لا يُعرف مؤلّفها، ويُفترض أنّهم لفيفٌ من فلاسفة الشّيعة، تتألّف من 52 رسالة، قدّموا في الرّسالة السّابعة تحت عنوان: 'في** الصّنائع العلميّة والغرض منها**' تصنيفا للعلوم.**

|  |
| --- |
| تقسيم إخوان الصّفا للعلوم |
| **يذهبُ فيه أصحابه إلى أنّ العلوم على ثلاثة أصناف:** **الصّنف الأوّل: العلوم الرّياضيّة: وُضع أكثرها من أجل طلب المعاش وصلاح أمرِ الحياة الدّنيا: كعلم اللّغة والحساب..****الصّنف الثّاني: العلوم الشّرعيّة الوضعيّة: وُضعت لطبّ النّفوس وطلب الآخرة.****الصّنف الثّالث: العلوم الفلسفيّة الحقيقيّة: لم يذكروا لماذا وُضعت، لكنّ السّياقات تدلّ أنّها وُضعت لسلامة وسعادة الرّوح.** |

**جاء في فهرست الرّسائل تعريفا بالرّسائل يفيد أنّها وُضعت أساسا للتّعريف بالعلوم وتصنيفاتها: "وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم، وغرائب الحِكم، وطرائف الآداب، وحقائق المعاني".**

**وهي ـ أي العلوم ـ: "مقسومة على أربعة أقسام:**

**فمنها رياضيّة تعليميّة، ومنها جسمانيّة طبيعيّة، ومنها نفسانيّة عقليّة، ومنها ناموسيّة إلهيّة"**[[9]](#footnote-10)**.**

**وفي مكانٍ آخر قالوا: "وينبغي لطالبي العلم والباحثين عن حقائق الأشياء؛ أن يعرفوا أوّلا ما العلم وما المعلوم، وعلى كم وجهٍ يكون السّؤال، وما جواب كلّ سؤال..**

**واعلم بأنّ السّؤالات الفلسفيّة تسعة أنواع مثلُ تسعة آحاد، أوّلها: هل هو؟ والثّاني: ما هو؟ والثّالث: كم هو؟ والرّابع: كيف هو؟ والخامسُ : أيّ شيءٍ هو؟ والسّادس: أين هو؟ والسّابع: متى هو؟ والثّامن: لم هو؟ والتّاسع: من هو؟"**[[10]](#footnote-11)**.**

**ثمّ بيّنوا** الغاية **بقولهم: "نريد أن نَذكرَ أجناسَ العلوم، وأنواعَ تلك الأجناس، ليكون دليلا لطالبي العلم إلى أغراضهم، وليهتدوا إلى مطلوباتهم، لأنّ رغبة النّفوس في العلوم المختلفة وفنون الآداب؛ كشهوات الأجسام للأطعمة المختلفة الطّعم واللّون والرّائحة"**[[11]](#footnote-12)**.**

**ولمّا جاءوا لتفصيل أجناس العلوم وترتيبها قالوا: "اعلم أخي أنّ العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس، فمنها: الرّياضيّة، ومنها: الشّرعيّة الوضعيّة ، ومنها: الفلسفيّة الحقيقيّة.**

فالرّياضيّة **هي علم الآداب التي وُضع أكثرها لطلب المعاش وصلاحِ أمر الدّنيا، وهي تسعة أنواع؛ أوّلها علم الكتابة والقراءة.. ومنها علم الحرف والصّناعات.. ومنها علم البيع والشّراء والتّجارات، ومنها علم السّير والأخبار.**

**فأمّا** أنواع العلوم الشّرعيّة **التي وُضعت لطبّ النّفوس وطلب الآخرة فهي ستّة أنواع: أوّلها علم التّنزيل، وثانيها علم التّأويل، والثالث علم الرّوايات والأخبار، والرّابع علم الفقه والسّنن والأحكام، والخامس علم التّذكار والمواعظ والزّهد والتّصوّف، والسّادس علم تأويل المنامات.**

**فعلماء التّنزيل هم القرّاء والحفظة، وعلماء التّأويل هم الأئمّة وخلفاء الأنبياء، وعلماء الرّوايات هم أصحاب الحديث، وعلماء الأحكام والسّنن هم الفقهاء، وعلماء التّذكار والمواعظ هم العبّاد والزّهّاد والرّهبان ومن شاكلهم، وعلماء تأويل المنامات هم المعبّرون.**

**وأمّا العلوم الفلسفيّة فهي أربعة أنواع: منها الرّياضيات، ومنها المنطقيّات، ومنها الطّبيعيّات، ومنها الإلهيّات"**[[12]](#footnote-13)**.**

تقسيم العلوم عند ابن سينا**:**

 **وضع ابن سينا تصنيفات عدّة للعلوم بناء على مراحل تطوّر فلسفته واستقلاله المعرفيّ.**

|  |
| --- |
| تقسيم ابن سينا للعلوم |
| التقسيم الأوّل | **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على صنفين:** **الصّنف الأوّل:** العلوم النّظريّة**: تدرس الأمور لا يتعلّق وجودها بأفعال الإنسان، وهي: العلم الطّبيعي والعلم الرّياضي، وعلم ما بعد الطّبيعة.****الصّنف الثّاني:** العلوم العمليّة**: تدرس الأمور المتعلّقة بأفعال الإنسان، وهي: النّبوّة والأخلاق وتدبير المنزل والسّياسة.** |
| التقسيم الثّاني | **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على صنفين:****الصّنف الأوّل: علوم لا يصحّ أن تجري أحاكمها في الزّمان كلّه، بل في طائفة من الزّمان وتسقط.****الصّنف الثّاني: علوم تجري أحكامه الدّهر كلّه، وهي التي تسمى بالحكمة.** |

**قال ابن سينا: "الحكمة تنقسم إلى: قسم نظريّ مجرّد، وقسم عمليّ.**

**و**القسمُ النّظريّ**: هو الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلّق وجودُها بفعل الإنسان، ويكون المقصود إنّما هو حصول رأي فقط، مثل: علم التّوحيد وعلم الهيئة.**

**و**القسمُ العمليّ**: هو الذي ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات بل ربّما يكون المقصود فيه حصول صحّة رأي في أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه، فلا يكون المقصود حصول رأي فقط، بل حصول رأي لأجل عمل.**

**فغاية النّظريّ هو الحقّ، وغاية العمليّ هو الخير"**[[13]](#footnote-14)**.**

**ثمّ ذكر أنواع كلّ قسم: "أقسام الحكمة النّظريّة ثلاثة: العلم الأسفل: ويُسمّى العلم الطّبيعيّ، والعلم الأوسط: ويُسمّى العلم الرّياضيّ، والعلم الأعلى: ويُسمّى العلم الإلهيّ..**

**العلوم العمليّة ثلاثة: الأوّل يُعرف به الإنسان كيف ينبغي أن تكون أخلاقه وأفعاله حتّى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة.**

 **والثّاني أنّ الإنسان كيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنزله المشترك بينه وبين زوجه وولده، حتّى تكون حاله منتظمة مؤدّية إلى التّمكّن من كسب السّعادة.**

**والثّالث: يعرف به أصناف السّياسات والرّئاسات والاجتماعات المدنيّة الفاضلة والرّديّة، ويُعرف وجه استيفاء كلّ واحد منها وعلّة زواله.."**[[14]](#footnote-15)**.**

**ثانيا:** تصنيفات هذا الاتجاه بين الهجنة والتّقليد للتّصنيف الأرسطي**:**

**نتائج مقارنة تقسيم أعلام الاتّجاه التّقليديّ مع تقسيم أرسطو تقودنا إلى الجزم بعدّة أحكام:**

**1/ أنّهم جميعا انطلقوا من تقسيم أرسطو للعلوم من حيث موضوعها إلى: نظري وعمليّ.**

**2/ زادوا عليه بعض الأنواع التي اقتضتها طبيعة المجتمع الإسلاميّ كعلم الشّريعة ومفهوم الإلهيات.**

**3/ خالفوه في بعض التّصوّرات، كدمج الفرابي لعلم الأخلاق والسّياسة في 'العلم المدنيّ'.**

**4/ بيّنوا كيفيّة توظيف بعض العلوم النّظريّة للدّفاع عن الدّين.**

الفرع الثّاني: الاتجاه الأصيل**:**

**أوّلا:** أعلامه**: تَبَنّى هذا المنهج جملةٌ من العلماء والفلاسفة المسلمين الذي حاولوا تخطّي المنهج الأرسطي، من أهمّهم:**

**1/** ابن حزم: عليّ بن أحمد (ت:456ه): 'رسالة: مراتب العلوم'.

**2/** ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمّد (ت:808هـ): 'المقدمة'.

تقسيم العلوم عند ابن حزم(ت:456ه)**: من خلال: 'رسالة في مراتب العلوم'.**

|  |
| --- |
| تقسيم ابن حزم للعلوم |
| **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على صنفين:** **الصّنف الأوّل:** نافعٌ محمودٌ **(يقبله العقل والشّرع): وينقسم إلى سبعة علوم يمكن تنظيمها ضمن مجموعتين:****أ/ المجموعة الأولى: ثلاثة تتمايز فيها الأمم، وهي: علم الشّريعة والتّاريخ واللّغة.****ب/ المجموعة الثّانية: أربعة تشتركُ فيها الأمم، وهي: علم النّجوم، وعلم العدد، وعلم الطّبّ، وعلمُ الفلسفة.****[وذكر أنّ الغاية الكبرى من العلم هي النّجاة في الآخرة، لأجل ذلك وجب أن توجّه كلُّ العلوم لخدمة ما يُرضي الله تعالى، ومنه اعتبر أنّ الفلسفة إذا كان تعلمّها يؤول إلى خدمة الشّريعة فهي علمٌ محمود].****الصّنف الثّاني:** ضارٌّ مذمومٌ **(يرفضه العقل والشّرع): علم السّحر وعلم الطّلّسمات وعلم الموسيقى وعلم الكيمياء (وليست الكيمياء المعاصرة، وإنّما هو علمٌ قديمٌ كان يزعم أصحابه أنّ هناك مادّة تحوّل الحجر إلى معادن ثمينة).****قال ابن حزم: "إجهاد المرء نفسه فيما لا ينتفع به إلا في هذه الدّار من العلوم رأي فاتر، وسعي خاسر، لأن المنتفع به في هذه الدّار من العلوم، إنّما هو ما اكتسب به المال، أو ما حفظت به صحّة الجسم فقط، فهما وجهان لا ثالث لهما". 'رسالة في مراتب العلوم' ضمن: 'رسائل ابن حزم' [4/63].****قال ابن حزم: "أفضل العلوم ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود ووصل إلى الفوز في دار البقاء، فطالب هذه العلوم لهذه النّيّة هو المستعيض بتعبٍ يسيرٍ راحةَ الأبد، وهو ذو الصّفقة الرّابحة والسّعي المنجح الذي بذل قليلا واستحق ّكثيرا". 'رسالة في مراتب العلوم' ضمن: 'رسائل ابن حزم' [4/63].قال ابن حزم: "فاعلموا أسعدكم الله بتوفيقه أن من رأيتموه يدّعي علم الموسيقى واللّحون، وعلم الطّلسمات؛ فإنّه ممخرق كذّاب ومشعوذ وقّاح، وكذلك من وجدتموه يتعاطى علم الكيمياء فإنّه قد أضاف إلى هذه الصّفات الذّميمة التي ذكرنا استئكال  أموال النّاس، واستحلال التّدليس في النّقود وظلم من يعامل في ذلك". 'رسالة في مراتب العلوم' ضمن: 'رسائل ابن حزم' [4/62].****قال ابن حزم: "لا وجه للاشتغال بعلم قد دثر وعدم، وإنّما الواجب أن يهتمّ المرء بالعلوم الممكن تعلّمها التي قد ينتفع بها في الوقت، وأن يُؤْثِرَ منها بالتّقديم ما لا يتوصّل إلى سائره إلاّ به، ثم الأهمّ فالأهمّ والأنفع فالأنفع". 'رسالة في مراتب العلوم' ضمن: 'رسائل ابن حزم' [4/62].** |

تقسيم العلوم عند ابن خلدون(ت:808هـ)**: يعدّ ابن خلدون رائد علم الاجتماع من خلال ما سطّره في 'مقدّمة' كتابه 'العبر' والتي عرفت باسم 'مقدّمة ابن خلدون'، إذ ما كان ليتصوّر حركات الاجتماع ويصف الظّواهر والأسباب دون وقوفه على أهمّ عامل مؤثّرٍ هو: 'العلوم'، لذلك ليس غريبا أن يطرح نظريّته حول 'تصنيف العلوم'.**

**ولابن خلدون** تقسيمان[[15]](#footnote-16)**:**

|  |
| --- |
| تقسيم ابن خلدون للعلوم |
| التقسيم الأوّل | **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على صنفين:** **الصّنف الأوّل:** طبيعيّ **(العلوم الحكيمية الفلسفيّة): وهي التي يهتدي إليها الإنسان بفكره.****الصّنف الثّاني:** شرعي **(علوم الكتاب والسّنّة): وهي العلوم المبنيّة على النّقل عن الشّارع الحكيم (دور العقل فيها محدود بتصوّرها وإلحاق النّظائر بنظائرها)، ويُلحق بها العلوم الخادمة لها: كالتّاريخ واللّغة والأدب..****قال: "اعلم أنّ العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعيّ للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقليّ يأخذه عمن وضعه. والأوّل: هي العلوم الحكميّة الفلسفيّة، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشريّة إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره ويحثّه على الصّواب من الخطإ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.****والثّاني: هي العلوم النّقليّة الوضعيّة: وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشّرعيّ، ولا مجال فيها للعقل إلاّ في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النّقل الكلّيّ بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسيّ" مقدمة ابن خلدون [ص:930].** |
| التقسيم الثّاني | **يذهبُ فيه إلى أنّ العلوم على صنفين:** **الصّنف الأوّل:** علوم مقصودة لذاتها**: كعلم التفسير وشرح الحديث بالنّسبة لعلوم الشّرع، والطّبيعيّات والإلهيات بالنّسبة للفلسفة.****الصّنف الثّاني:** علوم وسائل**: كاللّغة العربيّة والحساب والمنطق..****قال: "اعلم أنّ العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين: علوم مقصودة بالذّات كالشّرعيّات من التّفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، وكالطّبيعيّات والإلهيّات من الفلسفة، وعلوم هي وسيلة آليّة  لهذه العلوم كالعربيّة والحساب وغيرهما للشّرعيّات، وكالمنطق للفلسفة" مقدمة ابن خلدون [ص:1144].** |

**ثانيا:** أصالة تصنيفات هذا الاتجاه، ومدى اقترابها أو ابتعادها عن تصنيف أرسطو**: يمكن الحكم أنّ تصنيف العلوم عند المسلمين قادهم إليه ضرورة التّنوّع والتّشعّب، وقد كان التّفكير فيه قبل ترجمة الفكر اليونانيّ.**

**ولا يعني هذا أنّها لم تستفد من التّرجمة، بل كان للعقل العربيّ المتفتّح والمتشوّف للمعرفة والتفوّق حافزُ الاطّلاعِ والاستفادةِ من كلّ العلوم النّظريّة والعمليّة التي كانت لدى الشّعوب التي فتحوا بلدانها أو احتكّوا بها.**

**لكنّ مفهوم 'التّجاوز للمنهج الأرسطيّ' الذي أطلقناه على 'النّهج التقليديّ' لم يكن سوى إعادة صياغة، أمّا المنهج الأصيل فقد 'تجاوز' حقّا تقسيم 'أرسطو'، وانطلق جذريّا من المعطيات التي أسفرت عنها تراكمات العلوم الإسلاميّة، وأسّست لمفهوم جديدٍ مستقلّ.**

**وحتّى يسهل التّفريق بين المنهجين؛ يمكننا أن نجمل ما يميّز المنهج الأصيل في نقاط:**

**1/ اشتركا في اعتبار 'موضوعات العلم' عند التّقسيم.**

**2/ انطلق 'المنهج الأصيل' من أنّ العلوم الإسلاميّة هي الأصل باعتبارين: الأوّل: أنّها تركّز على الرّوح والنّفس وهي الأهمّ [وإن كانت لا تغفل البدن]، الثّاني: أنّها تبني للآخرة وهي الغاية والخلود [وإن كانت لا تغفل الحياة الدّنيا].**

**3/ تحدّ من سلطة العقل وانطلاقته، إذ تعتبر أنّ هناك علوما لا يلعب فيها العقل إلاّ دورا ثانويّا لأنّها ليست من مجالاته، ولا يمكن له إلاّ التّسليم أمامها.**

**4/ تركيزها على مفهوم 'النّافع والضّارّ'.**

**5/ التّمييز بين 'العلوم الأصليّة' وهي المقصودة لذاتها [التّوسّع فيها ممدوح]، وبين 'علوم الوسائل' وهي خادمة للأولى [والتّوسّع فيها يكون ممدوحا ما خدم الأولى، فإذا زاد صار لغوا ومضيعة للوقت].**

ثالثا**:** نقد وتقييم هذه التّصنيفات**:**

**ــ إنّ تفطّن المسلمين إلى أهميّة تصنيف العلوم وحده يدلّ على فكرٍ متنوّر مآله إدراك الحقيقة وإنتاج المعرفة.**

**ــ ومشاركة المسلمين في تصنيف العلوم يدلّ على أنّهم كانوا يملكون فكرا منهجيّا واضحا، ووسائل علميّة مقبولة.**

**ــ وتدرّجهم من التّقليد إلى إبداع تقسيمات خاصّة يدلّ على إيجابيّة المشاركة، كما يدلّ أيضا على أنّهم كانوا يملكون رؤية استشرافيّة.**

**ــ والتأمّل في الزّيادات التي زادوها، أو في التّغيير الذي أدخلوه يدلّ على نضج المنهج الإسلاميّ إلى درجة فاقت المنهج الرّومانيّ والإغريقيّ، ثمّ إلى تأثير الخصوصيّة الإسلاميّة كان لها الأثر الأكبر على كلّ تقسيماتهم.**

**ــ هذا؛ وقد طال المنهجين معا بعض النّقد الدّال على أمرين: على النّقص الفطريّ في طبيعة البشر، وعلى أنّ التّطوّر المعرفيّ عند العقلاء مستمرّ ما استمرّت الحياة، وليس مقصورا على زمن دون آخر، وأنّ لكلّ زمانٍ عباقرتُه.**

**المطلب السّادس:** تصنيف العلوم و التّكامل المعرفيّ**.**

**تحديد معنى مصطلح 'التّكامل المعرفيّ'**:

'التّكامل المعرفيّ' مصطلح يُطلق في كثير من الأحيان على كلّ شخصٍ موسوعيّ في ثقافته ومعرفته، إذا كان ملمّا بجملة من العلوم[[16]](#footnote-17)، والمقصود به هنا: التفطّنُ إلى تشابكِ العلوم المختلفة واحتياجِ بعضها إلى بعضٍ بحسب اقترابها من بعضها.

فعلم الشّريعة مثلا يحتاج إلى معرفة العربيّة احتياج وجود[[17]](#footnote-18)، والتّشابك الحاصل بينهما يكاد يكون بنسبة 70 في المائة، كما تحتاج الشّريعة إلى جملة من العلوم احتياجا أكيدا لكنّه أقلّ من العربيّة، كشيء من علم الحساب والفلك، وهكذا..

أمّا الحاجة إلى 'التّكامل المعرفيّ' فمتعلّقة بحاجة الإنسان إلى العلم عموما، إذ خلق الله تعالى الإنسان وعلّمه البيان وجعل من تمام كرامته زيادة التّعلّم، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ [الرّحمن:3-4]. وقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق:1-5].

ولا زال الإنسان يسعى إلى المعرفة المخفِّفة من شقاه، الخادمة لدينه ودنياه، منذ خلقه الله ولم ينقطع لحظة، وقد مرّ على ذلك قرونٌ كثيرة، أدّت إلى تراكمٍ معرفيٍّ مبهرٍ، وهذا التّراكم نفسُه دلّ أنّ المعرفة بحرٌ عظيمٌ لا يمكن للإنسان أن يجاوز شاطئه.

وقد كان العلماء قديما يفتخرون بالتنوّع الموسوعيّ في التّحصيل، وكان ذلك مفخرة ولا يزال، ولكن تَنَبَّهَ مَنْ تَنَبَّهَ منهم أيضا إلى أنّ هذا الكمّ المعرفيّ قد يُشتّتُ جهد الإنسان، فيجعل معرفته محدودة لا تنتج، لذلك مدحوا التّخصّص وحثّوا عليه،

فـ"كانت ظاهرة التّخصّص في علم واحد والتّفرّغ له ظاهرة حديثة في التّاريخ الإنسانيّ، بسبب التوسّع الكبير الذي طرأ على المعرفة البشريّة، حتّى أصبح من غير الميسور على العالم الواحد أن يتخصّص في أكثر من علم، بل إنّ العلم الواحد قد تجزّأ إلى علوم فرعيّة لا يكاد العالِم يُتقن واحدا من هذه الأجزاء"[[18]](#footnote-19).

لكنّهم تنبّهوا ثانيةً إلى نقطة محورية هي 'تكامل العلوم' وتداخلها إلى حدّ الضّرورة في كثيرٍ من الأحيان، فاهتدوا إلى فكرة عبقريّة تسمّى: 'تصنيف العلوم'، وهي مفكرة تهدي إلى:

ـ رسم خريطة العلوم وبيان حدودها ومصادرها وطرق تحصيلها.

ـ التّعريف بتشابك بعضها، وتبيين القرب الشّديد لبعضها من بعض.

ـ التّأكيد على أنّ بعض العلوم لا يُؤتي ثمرته إذا لم يُسْتَعَنْ عليه بغيره، ولا يمكن إدراك بعض الجزئيّات إلاّ بالنّظر إليها أيضا من زاوية العلوم الأخرى.

**معادلة** '**التّكامل المعرفيّ**'[[19]](#footnote-20):

للمنهجيّة في المنظور الإسلاميّ **مصدران** لا ثالث لهما، هما: الوحي والعالَم [الآيات المسطور والآيات المنظورة/ القرآن والكون]، وأيّ تعامل منهجيّ في هذا المنظور لا بدّ فيه من مراعاة التّكامل بين المصدرين.. وهداية الوحي هي في الأساس ترشيد لوعي الإنسان تجاه العالَم وسعيه فيه وعمرانه له.

وللمنهجيّة في المنظور الإسلاميّ **أداتان** لا ثالث لهما، هما: العقل والحسّ، وليس ثمّة طريقة لعمل الحسّ دون عمل العقل، وليس ثمّة وسيلةٌ للعقل في أن يمارس عمله خارج إطار الواقع المحسوس، حتّى إنّ القضايا الذّهنيّة المجرّدة يتصوّرها العقل البشريّ في سياق خبرته الحسّيّة.

ويُنصح العقل في الإطار الإسلاميّ أن لا يبذل أيّ جهدٍ فيما لا طائل من ورائه، أو لا ينبني عليه عمل، فالله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾ [الشّورى:11]، لذلك لا داعي للتّفكير في ذاته، وحسب الإنسان أن يُفكّر في مخلوقات الله التي تدلُّ عليه سبحانه.

وتلك هي حقيقة التّكامل المعرفي بين العقل والحسّ، بوصفهما أداتين للمعرفة والبحث المنهجيّ.

وهذا مخطّط هذه المعادلة:



**فائدة** '**التّكامل المعرفيّ**':

"من قديم كان العلماء والحكماء يتحدّثون عن التّكامل بين (العلم والعمل)، وأكّد ابن رشد إمكانيّة الاتّصال بين (الحكمة والشّريعة)، وأكّد ابن تيميّة مفهوم التّكامل بتقريره (درء التّعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول)، وجمع القشيريّ وغيره من المتصوّفة بين (الطّريقة والحقيقة)...

وظهرت في القرن العشرين حاجة الفيزياء إلى الرّياضيّات، وحاجة البيولوجيا إلى الكيمياء، فظهرت العلوم البينيّة التي تؤكّد أنّ التّطوّر والتّقدّم في علم من العلوم يعتمد على علمٍ آخر أو علوم أخرى"[[20]](#footnote-21).

كلّ هذا يفيدُنا في:

ـ تقليل الخطأ في اختيار التّخصّص بما يناسب مواهبنا وقدراتنا.

ـ احترام التّخصّصات الأخرى.

ـ السّعي في الاحتكاك بها، والتدرّب على كيفيّة المزاوجة بينها.

ـ عدم القولِ (الحكمِ) في بعض الجزئيّات الخاصّة بالتّخصّص إلاّ بالرّجوع إلى آراء ونظريّات التّخصّصات المشابهة.

ـ التأكّد بأنّ أيّ نجاح له سقف، لا يتجاوزه الإنسان إلاّ إذا استعان بغيره ممّن يحسن ما لا يحسن هو.

ـ تحصيل اليقين بأنّ بعض النّوازل الدوليّة والوطنيّة (مشكلات أو أزمات..) لا يحلّها إلاّ تحالف جملة من التّخصّصات.

**العالِم الموسوعيّ (المتكامل) في العصر الحديث**[[21]](#footnote-22):

العالِمُ الموسوعيّ الذي حاز صفة 'التّكامل المعرفيّ' في منظور المشرفين والمنتسبين إلى المناهج العلميّة المعاصرة؛ هو من امتلك:

 🖋 معرفةً كافيةً بمبادئ الإسلام ومقاصده.

 🖋 منهجيّةً مناسبةً لتوظيف هذه المبادئ أو المقاصد.

 🖋 شخصيّةً إسلاميّة معاصر تتّصف بالتّماسك والفاعليّة.

 🖋 القدرةَ والملكةَ على إعمال المعرفة منهجيا في فهم العلوم العصرية والتّعامل معها [من حيث نفعُها أو ضررها، أو من حيث تماشيها أو تصادمها مع الشّريعة].

 🖋 القدرة على الإسهام المميّز في الحضارة الإنسانيّة وترشيدها بهداية الوحي الإلهيّ.

**خصائص الاتّصاف بـ: (التّكامل المعرفي) على الإنتاج الفكريّ**:

" منهجيّة التّفكير عند الإنسان هي أهمّ مجال من مجالات الإنتاج المعرفيّ، لأنّ التّفكير هو الأساس لما بعده من بحث أو ممارسة علميّة أو سلوك فردي أو جماعيّ.

وتتّصف منهجيّة التّفكير في الرّؤية الإسلاميّة بمجموعة من الخصائص التي تتكامل فيما بينها، فالتّفكير وفق هذه المنهجيّة هو:

1/ تفكير مقاصديّ: يحقّق الفهم والاستيعاب للنّصّ، في ضوء حكمة نزوله والواقع وعلاقتهما.

2/ تفكير كلّيّ شموليّ: يوظّف الرّؤية الكونيّة الشّاملة لكلّ مناحي الحياة.

3/ تفكير سُنَنيّ: يربط وقوع الأحداث، وظهور النّتائج، وتجلّيات الظّواهر بأسبابها.

4/ تفكير عمليّ: ينظُر في الأمر من حيث علاقتُه بالواقع، ويبحث عن البدائل الممكنة التي يمكن تصوّرها لحل المشكلات الرّاهنة.

5/ تفكير استراتيجيّ استشرافيّ: لبناء المستقبل وتحقيق النّهوض الحضاريّ للأمّة.

ويتّصف أيضا بالإيجابيّة والتّفاؤل"[[22]](#footnote-23).

قال ابن حزم بعد ما ذكر باقة من العلوم المتنوّعة: "والعلوم التي ذكرنا يتعلّق بعضها ببعض ولا يستغني منها علم عن غيره"[[23]](#footnote-24).

قال حنفي حسن ملكاوي: "ولبيان موقع التّكامل وأهمّيّته ضمن مجالات العمل العلميّ؛ فقد صنّف 'بوير' العمل العلمي في أربع مجالات:

الأوّل: **الاكتشاف**: وهو ما يُوفق الجهود المعرفيّة في إجراءات البحث في حقولٍ معرفيّةٍ معيّنة.

والثّاني: **التّطبيق**: وهو التّأمّل في إمكانيّة الاستعمال العمليّ للمعرفة المكتشفة.

والثّالث: **التّعليم**: وهو نقل المعرفة وتوريثها من جيلٍ إلى الجيل الذي يليه.

والرّابع: **التّكامل**: بوصفه نشاطا يتمّ فيه دمج التّركيب في المعنى، وهو المجال الذي يعطي العمل العلميّ في مجالاته الثّلاثة السّابقة معانيه ودلالاته في الواقع.

ويُعقّبُ على ذلك بتأكيد طبيعة التّكامل وأهمّيته بقوله: (إنّه من خلال التّكامل فقط يصبح البحث جديرا بالثّقة)"[[24]](#footnote-25).

وقال ابن حزم: "وعند التّحقيق وصحّة النّظر فكلّ ما عُلِّمَ فهو علم؛ فيدخلُ في ذلك: علم التّجارة والخياطة والحياكة وتدبير السّفن وفلاة الأرض وتدبير الشّجر ومعاناتها وغرسها والبناء وغير ذلك.. ونحن نوصي طالب العلم بأن لا يذمّ ما جهل منها، فهو دليل على نقصه وقوله بغير معرفة"[[25]](#footnote-26).

**المطلب السّابع:** الموازنة بين تصنيف العلوم عند المسلمين وعند الغربيّين (تصنيف بيكون، و تصنيف أوجست كونت).

**أوّلا: أعلام التّصنيف عند الغربيّين: ( فرانسيس بيكون و أوجست كونت).**

**ــ فرانسيس بيكون: عاش في لندن(ت:1626م) في كتابه: 'الإحياء العظيم'.**

**أجست كونت: فرنسيٌّ (ت:1857م): في كتابه 'دراسات في الفلسفة الوضعيّة'.**

**تقسيم العلوم عند فرانسيس بيكون(ت:1626م): يُقال: إنّ منعرج النّهضة الأوروبّية بدأ يوم استبدل (بيكون) المنهج القياسيّ الذي وضعه أرسطو بالمنهج الاستقرائيّ، وأُسُسُ استقراء بيكون مبنيّ على:**

1/ جمع الحقائق (إعداد التّاريخ) 2/ كشف الصّور (المقارنة بين الحقائق) 3/ جدول النّتائج.

**وقد حاول أن يقسّم العلوم حسب قُوى الفهم أو النّفس المدركة، التي جعل حواسّنا وأدواتنا كلّها ترجع إلى ثلاثة منها هي:**

**1/ الذّاكرة. 2/ المخيّلة. 3/ العقل.**

|  |
| --- |
| تقسيم بيكون للعلوم [راجع كتاب: اتّجاهات الفلسفة الحديثة] |
| **1/** الذّاكرة**: موضوعها** التّاريخ**، وهو قسمان:****أ/ تاريخ مدني (خاص بالإنسان): وهو قسمان:** **ـ تاريخ كنسي (ديني): يعتمد على الكتب المقدسة.****ـ تاريخ مدني: يعتمد على الوثائق حسب تنوّعها: سياسيّة وأدبيّة وعلمية واقتصادية..****ب/ تاريخ طبيعيّ: وهو ثلاثة أقسام:****ـ وصف الظّواهر الأرضيّة والسّماويّة.****ـ وصف المسوخ التي تكشف عن القوى الخفيّة.****ـ وصف الفنون التي من خلالها يسيطر الإنسان على الطّبيعة.**  |
| **2/** المخيّلة**: موضوعها** الشّعر**، وهو أقسام: الشّعر القصصي والملحميّ والتمثيلي والرّمزيّ..** |
| **3/** العقل**: موضوعه** الفلسفة**، وللفلسفة ثلاثة موضوعات: الطّبيعة والإنسان والله.****أ/ الفلسفة الطبيعيّة: وتنقسم إلى قسمين:****ـ الطّبيعة: وهي علم العلل المادّيّة والفاعلة: وتنقسم إلى الميكانيكا والسّحر.****ـ ما بعد الطّبيعة: وهي علم العلل الغائية: تتكلّم على الغيبيّات.****ب/ الفلسفة الإنسانيّة: وتنقسم إلى قسمين:****ـ ما يتناول النّفس.****ـ ما يتناول علم العلاقات الاجتماعيّة والسّياسيّة.****ج/ الفلسفة الإلهيّة: تسمّى 'الفلسفة الأولى'.** |

**تقسيم العلوم عند أجست كونت: فرنسيٌّ (ت:1857م): في كتابه 'دراسات في الفلسفة الوضعيّة' أولى أجست كونت للتّجربة والملاحظة أهمّيّةً كبيرة واعتبرها أساس اكتشاف الحقائق العلميّة، وكان يعتقد أنّ الإنسان في معارفه مرّ على ثلاثة مراحل:**

**1/** المرحلة اللاهوتيّة (الدّينيّة)**: تفسير الظواهر العلميّة تفسيرا تسيطر عليه قوى خفيّة.**

**2/** المرحلة الميتافيزيقيّة (الفلسفية)**: تفسير الظواهر العلميّة تفسيرا ذاتيّا، باعتقاد أنّ كلّ ظاهرة لها قوى خاصّة تتحكّم فيها.**

**3/** المرحلة الوضعيّة**: تفسير الظّواهر باستعمال الملاحظة، واستبدلت سؤال 'كيف؟' بسؤال 'لِمَ؟'.**

**وكان لهذا التّقسيم أثرٌ في تقسيمه للعوم.**

|  |
| --- |
| تقسيم أجيست كونت للعلوم |
| **قسّم العلوم إلى ستّة أصناف:****1/ الرّياضيات. 2/ علم الفلك 3/ علم الطّبيعة. 3/ علم الكيمياء. 4/ علم الحياة. 5/ علم الاجتماع.****وكلّها تُدرك بالاستقراء.****وهو تصنيفُ (تعقّلٍ متناقص، وتجربةٍ متزايدة). أي: كلّما نزلنا في التّصنيف نقصت وظيفة العقل وزادت أهمّيّة التّجربة، فالرّياضيّات تحتاج إلى عقل تجريديّ، وعلم الاجتماع يحتاج إلى تجربة واعية.****وتقسيمُه هذا يحملُ معنى كان يقصده، إذ جعل الرّياضيّات هي الأمّ التي تحتاجها كلّ العلوم، وجعل علم الاجتماع هو الغاية والهدف.**  |

الموازنة بين تصنيف العلوم عند المسلمين وعند الغربيّين:

**إنّ الموازنة بين تصنيفين لزمنين مختلفين وبيئتين مختلفتين من الصّعوبة بمكان، لذلك سنكتفي بملاحظتين أساسيتين:**

**الأولى**: لا يبدو أنّ هناك فرقا كبيرا في جانب الرّؤية للعلوم المتّفق على جدواها وضرورتها عند المسلمين والغربيّين، وما قيل من أنّ العلماء والفلاسفة الغربيّين قد سبقوا إلى منهجي: التّجريب والاستقراء، فهو محض ادّعاء، والمنصف يعلم أنّ عامّة علماء المسلمين أحكموا المنهجين كذلك.

إذن هما متّفقان متقاربان في هذا النّوع من العلوم.

**الثّانية**: الفرق الجوهريّ بين الجانبين يكمن في كون علماء المسلمين مستيقنين بوجود الآخرة، والأبلغ من هذا أنّهم يعتقدون أنّها أهمّ من الدّنيا، وأنّ الدّنيا مجرّد امتحان يقود إلى الحياة الأبديّة.

فتأثير هذا 'القرار' على أيّ رؤية للعوم وجدواها وتصنيفها واضحة ومعلّلة.

أمّا فلاسفة الغرب فأغلبهم ملحدون لا يؤمنون بوجود البعث، وأنّ مجال البحث والمعرفة يجب أن ينحصر في المحسوس والمادّيّ، والأسوأ أنّهم يعتقدون بأنّ تدخّل الغيبيّات يؤثّر سلبا على المجال العلميّ، وأحسنهم حالا يعتقد بضرورة الفصل بين الغيبيّ [الدّينيّ] والعلميّ.. ومن حججهم: أنّ المسلمين اليوم متخلّفون.

والأكيد أنّ عقلاء الأمم والمنصفين منهم يعلمون أن لا علاقة للدّين بالتّخلّف [أقصد الدّين الإسلاميّ بالخصوص]، وأنّ مسار المعرفة نزولا أو صعودا تابع بالأساس للمناهج التّعليميّة، والاعتبار في ذلك بكون آحاد المسلمين قد شاركوا مشاركة فعّالة في التّطوّر الحاصل اليوم دون أن يتنازلوا عن دينهم ولا هويّتهم، وقد حاز مجموعة منهم على جوائز علميّة راقية كاعتراف لهم بما قدّموه للعلم والإنسانيّة.

والنّتيجة: سيدرك الغرب بعد حين أنّ ما فرّطوا فيه لم يكن لصالح البحث العلميّ، بل كان انحرافا تمّ فيه إلغاء أهمّ باعث لتهذيب الرّوح وتزكية النّفس وتحسين الأخلاق وتشبيب الحياة وجلب السّعادة.

**المطلوب من المسلمين**:

"إنّ الانشغال بإحياء التّراث، وتحقيق المخطوط منه ونشرُه وتيسير الاستفادة منه بالشّرح أو الاختصار؛ ليس بديلا عن الاجتهاد في إنشاء علومٍ جديدة مستنبطة من نصوص القرآن والسّنّة، فليس صحيحا أنّ السّابق لم يترك شيئا للاّحق، إلاّ حين تصل الأمّة إلى حال العجز عن الاجتهاد والإبداع والعطاء المتجدّد، وهي حالة تعبّر عن تعطّل حيويّة الأمّة وانعدام وزنها بين الأمم، وتوقّف إسهامها في العطاء الفكريّ والحضاريّ"[[26]](#footnote-27).

فالمطلوب إذن؛ مواكبة العصر، ومزاحمة المفكّرين من كلّ الجنسيات، وذلك بإعادة بعث وتشجيع عقليّة الابتكار والإبداع التي تحلّى بها سلفنا.

**للتّواصل مع الأستاذ**:

**الهاتف**: 0656.39.66.72

**البريد الإلكتروني**: chemlalrabie@gmail.com

**الماسنجر**: شملال البليدة

1. . ينظر: 'تهذيب اللّغة' للأزهريّ محمّد بن أحمد (ت:370هـ) [12/142]. تح: محمّد عوض، دار إحياء التّراث العربي بيروت، ط:1 [2001م]. [↑](#footnote-ref-2)
2. . 'الفروق اللّغوية' لأبي هلال العسكريّ (ت:395هـ) [1/163]. تح: محمّد إبراهيم سليم، دار اللعم والثّقافة القاهرة. [↑](#footnote-ref-3)
3. . وكثيرا ما تكون العلوم مبحثا ضمن علم، ثمّ تظهر أهمّيّته، فيقصده العلماء بحثا وتحريرا، فلمّا تكثر مباحثه ونظريّاته يحوز من الخصائص ما يمكّنه من الاستقلال.

وهذا ما يُفسّر قرب علم من علم، واشتراكه معه عند التّقسيم. [↑](#footnote-ref-4)
4. . 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' فتحي حسن ملكاويّ **[ص:36].** بترّف واختصار.

نقلا عن: 'مباحث في منهجيّة الفكر الإسلاميّ' لعبد المجيد النّجّار [ص:66]. [↑](#footnote-ref-5)
5. . يُنظر: 'إحصاء العلوم' لأبي نصر الفرابيّ (ت:339هـ) [ص:09]. تح: عثمان محمّد أمين، مطبعة السّعادة مصر، [1350هـ/1931م].

وقال محقّقه الأستاذ عثمان محمّد أمين في مقدّمة التّحقيق [ص:07]: "لكنّ الفرابيّ لم يذكر لنا مذهبَه في تبويب العلوم وترتيبها، والظّاهرُ أنّه لم يكن يقصدها.. بل كان غرضه كما قال في توطئته: قصدنا أن نحصي العلوم المشهورة علما علما.اهـ

ولذلك نراه قد اقتصر على عرض طائفة من هذه العلوم المشهورة عرضا حسنا توخّى فيه السّهولة والبساطة ، ليُعطي القارئَ فكرة عامّة واضحة عن **موضوع** كلّ علم و**منفعته** نظرا وعملا".اهـ [↑](#footnote-ref-6)
6. . 'إحصاء العلوم' للفرابيّ [ص:02]. [↑](#footnote-ref-7)
7. . 'إحصاء العلوم' للفرابيّ [ص:02-03]. [↑](#footnote-ref-8)
8. . ينظر: 'رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا' [1/258فما بعدها]، مركز الإعلام الإسلاميّ طهران [1405هـ]. [↑](#footnote-ref-9)
9. . 'رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا' [1/21]. [↑](#footnote-ref-10)
10. . 'رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا' [1/262]. [↑](#footnote-ref-11)
11. . 'رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا' [1/266]. [↑](#footnote-ref-12)
12. . 'رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا' [1/266]. فما بعدها باختصار. [↑](#footnote-ref-13)
13. . 'تسع رسائل في الحكمة والطّبيعيات' لأبي عليّ بن سينا [ص:105] فما بعدها، باختصار وتصرّف. ط:2 دار العرب القاهرة. [↑](#footnote-ref-14)
14. . 'تسع رسائل في الحكمة' لابن سينا [ص:105]. [↑](#footnote-ref-15)
15. . ينظر: 'مقدّمة ابن خلدون' [ص:930 فما بعدها]. و[ص:1114].

أمّا الشّاطبيّ فقد قسّم العلوم إلى قسمين: علوم مقاصد وعلوم خادمة، واصطلح في بعض الأحيان على تسمية العلوم الخادمة بالعلوم العارية (أي: المستعارة)، وهي التي يحتاجها العالم الشّرعيّ فيستعيرها. ينظر: الموافقات: [1/75] و[1/37]. [↑](#footnote-ref-16)
16. . ينظر: **'مفاهيم التّكامل المعرفي' لفتحي حسن ملكوي، ضمن كتاب: 'التّكامل المعرفي (أثره على التّعليم الجامعيّ وضرورته الحضاريّة)' تحرير: رائد جميل عكاشة [ص:19]. المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ. و.م.أ. ط:01 [1433هـ/2012م].** [↑](#footnote-ref-17)
17. . قال الشّاطبيّ: "إنّ الشّريعةَ عربيّةٌ، وإذا كانتْ عربيّةً؛ فلا يفهمُها حَقَّ الفهمِ إلّا من فهمَ اللّغةَ العربيَّةَ حَقَّ الفهْمِ، لأنّهما سِيَّانِ في النَّمَطِ ما عدا وجوهَ الإعجازِ، فإذا فَرَضْنَا مُبْتَدِئًا في فهمِ العربيّةِ فهو مُبْتَدِئٌ في فهمِ الشّريعَةِ، أو مُتَوَسِّطًا؛ فهو مُتَوَسِّطٌ في فهمِ الشّريعَةِ، والمتَوَسِّطُ لم يَبْلُغْ درجةَ النّهايةِ، فإن انتهى إلى درجةِ الغايةِ في العربيّةِ كان كذلكَ في الشّريعَةِ" 'الموافقات' لإبراهيم بن موسى الشّاطبيّ (ت:790هـ) **[5/53]. تح: مشهور حسن سليمان. دار ابن عفان ط:01 [1417هـ/1997م].** [↑](#footnote-ref-18)
18. . 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' فتحي حسن ملكاويّ **[ص:25].** المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ و.م.أ **[1401هـ/1984م].** [↑](#footnote-ref-19)
19. . ينظر: 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' **[ص:235 فما بعدها].**  [↑](#footnote-ref-20)
20. . 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' **[ص:26].**  [↑](#footnote-ref-21)
21. . ينظر: 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' **[ص:291].**  [↑](#footnote-ref-22)
22. . 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' **[ص:294]. باختصار وتصرّف.**  [↑](#footnote-ref-23)
23. . ينظر: **'رسالة في مراتب العلوم' ضمن: 'رسائل ابن حزم' [4/81].** [↑](#footnote-ref-24)
24. . **'مفاهيم التّكامل المعرفي' لفتحي حسن ملكوي، مرجع سابق [ص:22].**  [↑](#footnote-ref-25)
25. . ينظر: **'رسالة في مراتب العلوم' ضمن: 'رسائل ابن حزم' [4/81] باختصار.** [↑](#footnote-ref-26)
26. . ينظر: 'منهجّة التّكامل المعرفيّ (مقدّمات في المنهجيّة الإسلاميّة)' **[ص:296].**  [↑](#footnote-ref-27)